



مقدمة:

نُسَجَّ في عقول الكثيرين أن ما يحدث في هذا العالم من حوادث وأزمات وقلاقل وحروب إنما هو وفق تخطيط خبيث من الغرب، حتى أن مصير ثورتنا - التي بذلنا لها أغلى الدماء - مرهون أيضا بالمخطط الخبيث الذي يحاك لنا، فما علينا سوى الانتظار حتى يبرم وينفذ المخططون قرارهم فينا.

أمام هذا التصور غير الدقيق تغيب حقيقة أن إرادتنا هي أساس المعادلة، وقبل ذلك أن أمر الله وقدرته فوق كل أمر وقدرة.

1- الله أشد منهم قوة

إن الدول العظمى مهما بلغت قوتها وجبروتها فهي في سلطان الله، وقوة الله أشد من قوتهم، {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت: 15].
{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: 14-6]

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21].

2- الله أسرع مكرًا

قال تعالى: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم: 46-47].

هذا المكر العظيم الذي كادت أن تزول منه الجبال الشاهقة مكتوب عند الله، بل إنه لم ينفذ إلا بإرادة الله جل في علاه، ولكن الوعد الإلهي حاضر فلا تحسبوا الله مخلف وعده عباده إنه عزيز ذو انتقام، يبلو الناس بعضهم ببعض، ألم نسمع قول الله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال: 24].

وقول نبينا عليه الصلاة والسلام: {إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ}

[1]

أيها الناس: إن القلوب التي في أمريكا وروسيا وإيران وكل دول الظلم والضلال بيد الله كقلب رجل واحد يقلبه كيف يشاء،

أففسفر على الله إذا أراد نصرنا أن يقلب قلوبهم وفتراجعوا؟!

أو يقذف الرعب في قلوبهم فبنهزموا؟!

أو يغير أهدافهم فبختلفوا؟!

إنه الله خالق الخلق وهو المتحكم فبهم، {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

إن الدول الكبرى الظالمة لها يوم ستزول فبه، ولها موعد محدد ستنتهي فبه، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا} [الكهف: 59].

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 13-14].

إن المكر الذي يكرهه القوم لن يكون أسرع من مكر خالقهم فهو الذي يسير الأمور وببده مقالببدها، {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ * هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [يونس: 21-22].

والله ببدر لنا وبمكر لنا ونحن لا نشعر، غافلين عن ذلك، ولكن رعايته لا تغادرنا طرفة عين، اسمع إلى آياته تتلى عليك: {وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ} [النمل: 50-53].

3- الله بفعل ما بربد

قال الله عزوجل: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253].

ولكنه شاء، شاء لببفع الكفر بالإيمان ولبقر في الأرض حقيقة العقيدة الصحيحة الواحدة التي جاء بها الرسل جمبعاً، فانحرف عنها المنحرفون، وقد علم الله أن الضلال لا يقف سلبباً جامداً، إنما هو ذو طبيعة شريرة، فلا بد أن يعتدي، ولا بد أن فحاول إضلال المهتدين، ولا بد أن بربد العوج وبفارب الاستقامة، فلا بد من قتاله لبستقيم الأمور. {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} مشبئة مطلقة، ومعها القدرة الفاعلة.

ألم نسمع قول الله عز وجل: {الَّذِينَ آمَنُوا بَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: 76].

وقال سبحانه: {إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175]، على تقببر حرف جر محذوف: بفوف بأوليائه.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِبَصْدُو عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: 36].

وقال تعالى مخاطباً نببه صلى الله عليه وسلم، وهي بشرى لحملة الدعوة من بعبده: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30].

4- بقيننا بالظفر لا بعني الكسل

وإن بقيننا بأن تخطيط ومكر العدو لنا أمره إلى فشل وإلى زوال وأن الشام في كنف الله وكفالتة، لا بعني أن نمشي هملاً، دون تبصر ودرابة، بل الواجب إعداد الخطط المناسبة لتفادي ما بمكر لنا، وهذا داخل ضمن دائرة الإعداد الواجب {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60].

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يضع الخطط الحربية في كل المعارك والغزوات التي خاضها، وبخطط لرحلة هجرته متخذاً كل أساليب الحذر من مكر عدوه.

وإن بقيننا بأن تخطيط ومكر العدو لنا أمره إلى فشل وإلى زوال، وأن الشام في كنف الله وكفالتة، لا بعني أنه مسموح لنا أن

نخالف سنن الله جل جلاله، فسنن الله لا تحابي أحداً، ولا تحابي حتى الأنبياء ولن تحابينا نحن، إن الظلم الذي نكيله لبعضنا البعض أمر حاجب للنصر، وليس من سنن الله أن ينصر ويمكن من حاله كذلك: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ} [الأنبياء: 105، 106].

وقال تعالى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 40، 41].

وإن يقيننا بأن تخطيط ومكر العدو لنا أمره إلى فشل وإلى زوال، وأن الشام في كنف الله وكفالتة، لا يعني أن نغفل العناية بلغة إعلامنا التي تخلق في خيال امبراطوري لا يمت إلى الحقيقة بحال، مما يعود علينا بمزيد من الأعداء، وربما يحصل الكثير من هذا اللغط في مضمار المزادة على بعضنا البعض.